الموضوع السابع

الدولة العثمانية خلال الحرب الأولى وظهور أتاتورك

دخلت الدولة العثمانية غمار الحرب الأولى فى عام ١٩١٤م إلى جانب دول الوسط المكونة من ألمانيا والنمسا والمجر ضد دول الحلفاء المكونة من بريطانيا وفرنسا والروسيا وإيطاليا . ويرجع أسباب انضمام العثمانيين بجانب ألمانيا إلى ما يلى :

١ – إن صفحتهم كانت بيضاء مع العثمانيين بعكس بريطانيا وفرنسا وروسيا وإيطاليا التى اقتلعت أجزاء من أراضى الدولة العثمانية ، ومزقت إمبراطوريتها[١] واستهدفت تمزيق أركانها ، وضرب الشعوب الإسلامية عقديًا واقتصاديا . فروسيا القيصرية كانت ترمى إلى تمزيق تركيا وتعمل على انتزاع مضيق الدردنيل الذى يربط البحر الأسود بالبحر المتوسط منها ، كما كانت تسعى للاستيلاء على استنبول . وبريطانيا كانت تعمل على انتزاع العراق وفلسطين من تركيا ، وتوطيد أقدامها فى مصر[٢] وفرنسا كانت تريد بجانب استيلائها على الجزائر وتونس ومراكش الاستيلاء على الشام ، أما إيطاليا فبعد استيلائها على ليبيا فإن تطلعاتها تجاه ممتلكات الدولة العثمانية لم تتوقف .

٢ – تزايد المصالح الألمانية داخل الدولة العثمانية بشكل كبير خلال العقود القليلة التى سبقت وقوع الحرب فكانت هناك قروض ألمانية ، وسكة حديد برلين بغداد التى يتولى الألمان تنفيذها ، كما كان تحديث الجيش الألمانى يتم على أيدى خبراء من الألمان

١– عمر الديراوى : الحرب العالمية الأولى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثامنة ١٩٨٢ ص١٢٨ .

٢– هيئة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى : تاريخ الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى (حزب البلشفيك) ، بيروت ، منشورات الفارابى ، ١٩٥٤ ص٢٣٢ .

وبتسليح ألمانى[1] مما هدد سيطرة إنجلترا على منطقة الشرق الأدنى .

٣ – عروض ألمانيا المتعددة لحل مشاكل الدولة العثمانية جعل العديد من أعضاء الوزارة العثمانية يميلون إليها ويرغبون فى الوقوف بجانبها[2] .

٤ – إقحام أعضاء الاتحاد والترقى للدولة العثمانية فى حرب ليس لها فيها ناقة ولا جمل .

ومع أن الحكومة الإنجليزية قد بذلت جهودها لضمان حياد تركيا خشية انضمامها إلى ألمانيا وذلك بتقديم التزامات تتضمن استقلالها وعدم تجزئتها[3] ، فإن الحزب الحاكم فى تركيا كان يريد الانضمام إلى جانب ألمانيا .

ولكى تكسب الدولة العثمانية الوقت الذى يمكنها من الاستعداد لدخول الحرب بدأت فى مماطلة الحلفاء فى الرد على مطلبهم بخصوص الوقوف على الحياد فى الحرب ، وعرضت عليهم شروطها كى لا تنضم إلى الألمان ومنها :

١ – إلغاء الامتيازات الأجنبية فى أراضيها .

٢ – إعادة جزر الأرخبيل إلى السلطة العثمانية .

٣ – حل القضية المصرية .

٤ – وقوف بريطانيا وفرنسا ضد أطماع روسيا فى الدولة العثمانية .

وبعد ثلاثة أيام من تقديم هذه الشروط جاء رد الحلفاء كما يلى :

١ – يرى الحلفاء إمكانية إلغاء الامتيازات الأجنبية عدا الامتيازات القضائية التى يكون فى إلغائها مساس بحقوق الأجانب القاطنين فى ممتلكات الدولة العثمانية .

٢ – يرى الحلفاء أن يترك طرح مناقشة قضية جزر الأرخبيل إلى وقت ملائم .

٣ – ترك حل القضية المصرية إلى ما بعد الحرب ، حتى يمكن حلها بطريقة مرضية لجميع الأطراف .

١– عبد العزيز نوار وعبد المجيد نعنعى : التاريخ المعاصر – أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٣ ، ص٤٤٣ .

٢ – المجموعة التاريخية المصورة : تاريخ الحرب العظمى ١٩١٤–١٩١٨م جـ٦ ، تصريح لطلعت باشا وزير الداخلية التركى تحت عنوان "موقف تركيا قبل إعلان الحرب" ص٢٢ .

٣– وليم لانجر : موسوعة تاريخ العالم – ترجمة محمد مصطفى زيادة جـ٧ ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٦٩ ص٢٣٩٢–٢٣٩٣ .

٤ – تعهد الحلفاء بتأمين سلامة الدولة العثمانية وتأييد استقلالها[١] .

وعلى كل حال فبعد أن بدأت الدولة العثمانية فى استكمال استعداداتها حيث قامت بتعبئة نصف مليون جندى ، وتدريب حوالى ربع المليون[٢] ، أعلنت عن عزمها الاشتراك الفعلى فى الحرب إلى جانب دول الوسط ، كما أعلن السلطان العثمانى بصفته خليفة المسلمين الجهاد ضد الحلفاء فى كافة البلدان الإسلامية التى يسيطرون عليها ، وأصدر أوامره بمهاجمة الحلفاء فى الجبهات التالية :

١– الجبهة القوقازية الأناضولية .

٢– الجبهة البلقانية .

٣– جبهة الخليج العربى والعراق وفارس .

٤– جبهة قناة السويس والشام .

٥– جبهة اليمن[٣] .

وقد قام الأتراك فى بداية الحرب بأعمال حربية باهرة بمساندة الألمان[٤] فقام الأسطول التركى بضرب الموانى الروسية على البحر الأسود ، كما بدأت القوات التركية فى صد الزحف الروسى على القوقاز ، والتقدم نحو روسيا فى محاولة لتطويق جيشها[٥]، كما حاولت التقدم تجاه قناة السويس .

ثم تطورت الأمور فى ربيع عام ١٩١٥ فتجمدت الجبهة الألمانية الفرنسية بعد أن توقفت ألمانيا عن محاولتها للاستيلاء على الأراضى الفرنسية نتيجة لعدم التمكن من تحقيق أى انتصار فعلى ، كما تعرض الروس لانكسار شديد ، يضاف إلى ذلك قيام الإنجليز بتركيز ضرباتهم على الجبهة التركية ومحاولتهم احتلال شواطىء الدردنيل[٦] ، واستمر القتال هناك عدة أشهر ولكى يتمكن الحلفاء من وقف الدعوة إلى الجهاد التى أطلقها السلطان العثمانى ، وتشتيت شمل الصف الإسلامى قام الإنجليز بالاتصال

١– المجموعة التاريخية : المرجع السابق جـ٤ تحت عنوان "الحلفاء يسترضون تركيا" ص٢٠–٢١ .

٢– المجموعة التاريخية : المرجع السابق جـ٥ مقال تحت عنوان "المعارك الحربية فى القوقاز" .

٣– نوار ونعنعى : المرجع السابق ص٤٤٨ .

٤– كارل بروكلمان : الإسلام فى القرن التاسع عشر– ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثامنة ١٩٧٩م ص٦٠٣–٦٠٤ .

٥– المجموعة التاريخية : المرجع السابق جـ٥ مقال تحت عنوان "المعارك الحربية فى القوقاز" .

٦– أمين سعيد : ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم جـ١ ، القاهرة ، مطبعة الحلبى ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م ص٢١١ .

الشريف حسين أمير مكة المكرمة ، وعرضوا عليه التعاون ضد الأتراك في نظير وعودهم له بتخليص العرب من نير الحكم التركي[1] ، ونتيجة لذلك دخل الشريف حسين الحرب ضد الأتراك واستطاع الاستيلاء على معظم مدن الحجاز ، كما استطاعت جيوش الثورة العربية إحباط حملة تركية ألمانية اتجهت إلى الجزيرة العربية ، وحالت بينها وبين السيطرة على عدن[2] . أما عن جبهة العراق وفلسطين فقد كانت قدرات الأتراك على الصمود أمام الجيوش البريطانية محدودة ، خصوصا وأن الثورة العربية الكبرى كان لها أكبر الأثر في الحد من قدرتهم على المواجهة حيث فصلت القوات التركية المتمركزة في اليمن عن القوات الرئيسية في الحجاز والشام وسقطت العقبة في يد الإنجليز في ٦ من يوليو ١٩١٧ ، والقدس في ٩ من ديسمبر ١٩١٧م ثم تلى ذلك سقوط دمشق وبغداد[3] .

وعلى جبهة الدردنيل فقد ظلت الحرب مستعرة ، ولم تكمل الغلبة لواحد من الطرفين ، وإن كان مصطفى كمال قد استطاع تملك زمام الموقف وتعبئة الروح المعنوية والقتالية لدى جنوده خصوصا بعد أن حل محل القائد الألماني "ساندروس[4]" .

ونتيجة لخروج الدولة العثمانية من الحرب مكسورة الجناح ممزقة الأوصال فقد اتفق الحلفاء في مؤتمر "سان ريمو" في ابريل ١٩٢٠م على اقتسام البلدان العربية التابعة لتركيا فيما بينهم ، كما اتفقوا في معاهدة "سيفر" على تقسيم أملاك الدولة العثمانية الأوربية فيما بينهم أيضا فأعطيت اليونان معظم أملاك الدولة العثمانية الأوربية عدا القسطنطينية وبحر مرمرة ، وجعلت القسطنطينية تحت وصاية لجنة دولية ، وأجبر السلطان العثماني وحيد الدين على التوقيع على هذه المعاهدة[5] التي لو نفذت بنودها لكانت تركيا أثرا بعد عين مما جعل الرأي العام التركي يثور على السلطان وأدى إلى إبراز دور كمال أتاتورك ورجاله الذين تمكنوا من دحر القوات اليونانية وتفريق شملها ، يضاف إلى ذلك أن الانجليز الذين أرادوا أن يجعلوا من أتاتورك بطلا في نظر الشعب التركي حتى يتمكن من القبض على زمام الأمور في تركيا ويساعد على تحقيق مطالبهم انسحبوا فجأة وبطريقة مريبة من ساحل غاليبولي وتركت سفنهم الحربية مواقعها بسرعة

١- عبد العزيز نوار : تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٣ ص٨٥ .

٢- زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٥م ص٢٥٢ .

٣- نوار ونعنعي : المرجع السابق ص٤٦٩ .

٤- دراجبرت فون ميكوش : مصطفى كمال المثل الأعلى - ترجمة كامل مسيحه - بيروت ، المكتبة الأهلية ، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م ص١٣٢-١٤٥ .

٥- نوار ونعنعي : المرجع السابق ص٤٩٠ .

مذهلة[1] مما أدى إلى استرداد الأتراك للعديد من المواقع وانتصار قوات أتاتورك[2] . ونتيجة لذلك بدأ نجم أتاتورك في البزوغ وبدأ الناس يتحدثون عن شجاعته وبطولته ، وانتهى الأمر بعقد معاهدة لوزان ١٩٢٣م التي أبقت لتركيا الأناضول وأدرنة والقسطنطينية وأخرجت ما بيدها من البلدان العربية[3] .

وفي أعقاب ذلك أعلن مصطفى كمال فصل السلطنة عن الخلافة ثم قام بانقلاب ضد السلطان وحيد الدين ، وعزله بالقوة وأحل محله خليفة عثماني آخر وهو السلطان عبد المجيد بن عبد العزيز في عام ١٣٤٠هـ الموافق ١٧ من نوفمبر ١٩٢٢م ، وفي أعقاب ذلك بدأ التخطيط لإلغاء الخلافة وإعلان علمانية الدولة ، فقرر مصطفى كمال إعلان الجمهورية ، وتم اختياره رئيسا لها[4] . وفي عام ١٣٤١هـ الموافق أول مارس ١٩٢٤م قام مصطفى كمال بدعوة المجلس الوطني ، وتقرر فيه طرد الخليفة وإلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، والأخذ بالقانون المدني السويسري ليكون بديلا عن القانون الإسلامي في الأحكام الشرعية[5] . ونقل عاصمة الدولة إلى أنقره ، ونتيجة لذلك غادر السلطان عبد المجيد آخر خليفة عثماني تركيا إلى سويسرا[6] ، كما ألغيت الوظائف الدينية والشرعية ، وأصبحت الأوقاف ملكا للدولة مما أثار موجة عنيفة من السخط والغضب في كافة الأوساط الإسلامية .

وهكذا زالت الدولة العثمانية من الوجود ، وأصبحت أثرا بعد عين .

١- علي حسون : الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى .

٢- دا جوبرت فون ميكوش : المرجع السابق ص١٣٧ .

٣- لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي - ترجمة عجاج نويهض ، بيروت ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ ص٣٢٦-٣٢٧ .

٤- محمد محمد توفيق : كمال أتاتورك ،القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٣٦ ص١٣٩ .

٥- محمود شاكر : مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا - تركيا ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ص٥٤

٦- محمد توفيق : المرجع السابق ص١٤٠ .